٢

حادثة هجرة المصطفى ﷺ (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس:

بمناسبة دخول عام هجري جديد نذكر أنفسنا وإياكم بذلك العام الذي

(١) تلقى هذه الخطبة في الجمعة الأولى أو الثانية من شهر الله المحرم، فإذا ناسب يوم عاشوراء في الجمعة الثانية، فتكون هذه في الثالثة، ويصلح أن تكون في أي وقت لكن الأفضل أن تكون في بداية السَنَة الهجرية.

أشرق فيه فجر الإسلام، وقويت فيه شوكته، وأظهر الله فيه دينه، وهو عام الهجرة : العام الذي هاجر فيه المصطفى ﷺ وصاحبه إلى دار الهجرة، وهي المدينة النبوية.

ولذلك جعل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك العام تأريخًا للمسلمين ولا يلتفت إلى غيره من التواريخ ، كتأريخ ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه تأريخ اليهود والنصارى ولا يجوز التشبه بهم .

وجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تأريخ المسلمين من أول الهجرة ، ولم يجعله من أول البعثة : لأن شوكة الإسلام قويت من ذلك العام ، وكسرت شوكة المشركين وانقمع الشرك، أما قبل ذلك فقد كان المسلمون مستضعفين لا يستطيعون إقامة دينهم.

لكن لا يشرع الاحتفال ببداية العام الهجري الجديد، فإن هذا الفعل محدث لم يفعله نبينا ﷺ ولا صحابته الكرام، إذ أن هذه الاحتفالات من أعمال اليهود والنصارى والتشبه بهم حرام لا يجوز، فقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « **وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** » .

ولكن يكفي أن نتذكر تلك الحادثة العظيمة وما حصل فيها من الأحداث والعبر والمعجزات العظيمة لنبينا ﷺ وكيف تكالب المشركون عليه وعزموا على قتله، فأخرجه الله من بينهم سالما ، فصار يقتل صناديدهم ويغنم أموالهم ويسبي نساءهم بعد ذلك ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾** ﴾[الحج:٤٠] ، وقال تعالى:﴿ **وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الأعراف:١٢٨].

وكان سبب الهجرة ماحصل لنبينا ﷺ وصحابته الكرام مما لا يخفى على مسلم من الأذى والاضطهاد والقتل والتعذيب، وذلك لأنهم آمنوا بالله رب العالمين وتركوا عبادة الأصنام والأوثان !﴿ **وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ**

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج : ٨].

فلاقوا ألوانا من الأذى والتعذيب ، ليتركوا دينهم وليرجعوا إلى عبادة الأوثان ، فمن ذلك أنهم ربطوا بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فطرحوه على الرمضاء في حر الظهيرة ووضعوا عليه الحجارة وهو لا يزيد عن قوله: (أَحَدٌ أَحَدٌ، أَحَدٌ أَحَدٌ).

ومر رسول الله ﷺ بعَمَّار وأهله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم يعذبون، فقتلوا أمه سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ طعنوها بسهم في فرجها ، ففاضت روحها إلى بارئها، وما نقموا منها إلا أن آمنت بربها، فكانت أول شهيدة في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فقال رسول الله ﷺ: « **أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ** » . والحديث رواه الحاكم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فلما كان كذلك شرع الله الهجرة لمن لم يستطع إقامة دينه، وأذن الله لنبيه بالهجرة، فهاجر كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الحبشة مرتين، فلا والله ما هاجروا من أجل دنيا أو من أجل تجارة، وإنما هاجروا فرارا بدينهم ليعبدوا الله وهم آمنون.

والهجرة باقية إلى قيام الساعة ، فقد روى أبو داود عن معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** » .

والهجرة هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، بخلاف ما عليه كثير من المسلمين في هذا الزمان إذ صاروا ينتقلون من بلاد الإسلام إلى بلد الكفار لغير ما ضرورة ولا حاجة، وإنما من أجل لعاعة الدنيا والتكثر منها.

وقد روى أبوداود والترمذي عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا** » .

قال الحربي: « **لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا** » :أي:لاَ يُقِيمُ مُسْلِمٌ بِمَوْضِعٍ يَقْرُبُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا أَوْقَدُوا وَأَوْقَدَ الْمُسْلِمُ رَأَتْ نَارُهُ نَارَ الْمُشْرِكِ .اهـ

وقد جعل أهل العلم شروطًا للمسافر إلى بلاد الكفار لمن احتاج إلى ذلك.

وهي:

* أن يكون عنده دين يتقي به الشهوات ، فهناك تكثر الشهوات والفواحش والمحرمات.

* وأن يكون عنده علم يتقي به الشبهات، فإنهم أصحاب شبهات .

* وأن يسافر لضرورة أو حاجة لا توجد في بلاد المسلمين كعلاج ونحوه.

أما لغير ذلك فلا يجوز السفر والإقامة في بلاد الكفار حتى وإن كان فيها مسلمون من أهلها.

عباد الله:

إنه لما هاجر من هاجر إلى المدينة من الصحابة رضوان الله عليهم، ورجع من رجع من الحبشة ولحقوا بإخوانهم في المدينة، تآمر المشركون على نبينا محمد ﷺ ، واشتد عليه الأذى ،وقد كان رسول الله ﷺ أريَ دار الهجرة في منامه وهي المدينة.

فقد روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: « **إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ** » وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: « نَعَمْ » فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ

رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» . ومعنى قوله:وهما الحرتان. أي: « ذات حجارة سوداء كثيرة». وقوله : «عَلَى رِسْلِكَ»: أي :تمهل.

فاشتد الحصار على نبينا ﷺ حتى اجتمعوا بدار الندوة، فخططوا خططاً شيطانية ومكائد عظيمة، فأبرموا أمرا بقتله أو بسجنه أو بإخراجه ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال:٣٠] ، وكان ذلك بعد موت عمه أبي طالب إذ تجرأوا عليه ، وقد كان يذود عنه ويدافع عنه في حياته، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يضيعه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ ﴾ [الأنفال:٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: روى محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي وذكر بسنده إلى ابْن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْش مِنْ أَشْرَاف كُلِّ قَبِيلَة، اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَة، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَة شَيْخ جَلِيل، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ نَجْد، سَمِعْتُ أَنَّكُمُ اجْتَمَعْتُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَلَنْ يُعْدِمَكُمْ رَأْيِي وَنُصْحِي. قَالُوا: أَجَلْ، ادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ فَقَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْن هَذَا الرَّجُل، وَالله لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُوَاثِبَكُمْ فِي أَمْرِكُمْ بِأَمْرِه. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ فِي وِثَاق، ثُمَّ تَرَبَّصُوا به رَيْبَ الْمَنُونِ، حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ: زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ، إِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ، قَالَ: فَصَرَخَ عَدُوُّ الله الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ فَقَالَ: وَالله مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَالله لَيُخْرِجَنَّهُ رَبُّهُ مِنْ مَحْبِسِه إِلَى أَصْحَابِه، فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَثِبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، فَيَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ، فَمَا آمَنُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ. قَالَ: فَانْظُرُوا فِي غَيْرِ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ لَنْ يَضُرَّكُمْ مَا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ، إِذَا غَابَ عَنْكُمْ

أَذَاهُ وَاسْتَرَحْتُمْ، وَكَانَ أَمْرُهُ فِي غَيْرِكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَاللهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَلَاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلَاوَةَ لِسَانِهِ، وَأَخْذَ الْقُلُوبِ مَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ، ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْعَرَبَ، لَيَجْتَمِعَنَّ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَيَأْتِيَنَّ إِلَيْكُمْ حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ. قَالُوا: صَدَقَ وَاللهِ، فَانْظُرُوا بَابًا غَيْرَ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، لَعَنَهُ اللهُ وَاللهِ لَأُشِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مَا أَرَاكُمْ تَصْرِمُونَهُ بَعْدُ، مَا أَرَى غَيْرَهُ. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلَامًا شَابًّا وَسِيطًا نَهِدًا، ثُمَّ يُعْطَى كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا فَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْوَوْنَ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا. فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ، وَاسْتَرَحْنَا وَقَطَعْنَا عَنَّا أَذَاهُ. قَالَ: فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَاللهِ الرَّأْيُ. الْقَوْلُ مَا قَالَ الْفَتَى لَا رَأْيَ غَيْرَهُ، قَالَ: فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ. فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهُ أَلَّا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَكْرِ الْقَوْمِ. فَلَمْ يَبِتْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْخُرُوجِ وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة [الأنفال] ، يذكر نعمته عليه وبلاءه عنده: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٠]. وأنزل الله في قولهم: « تربصوا به ريب المنون » حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ،﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الطور: ٣٠] ، وكان ذلك اليوم يسمى «يوم الزحمة » للذي اجتمعوا عليه من الرأي .

وعن السُّدِّيّ نحو هذا السياق، وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٦] . اهـ

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النمل:٥٠-٥١].

فإنهم لما تآمروا على نبيهم ليقتلوه فخرج من بين أيديهم سالمًا ، فما لبث إلا سَنَة حتى قتل صناديدهم وكسر شوكتهم في وقعة بدر ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وأورث الله رسوله ﷺ مكة فدخلها عنوة وقهر أهلها ، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء:٧٦] .

فكان من أمره ﷺ أن تجهز هو وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخروج والهجرة إلى المدينة، فكان هذا الخروج هو بداية الفرج، وأول النصر، وفرح أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالهجرة مع رسول الله ﷺ فرحاً شديداً فكان هو صاحبه ورفيقه وأنيسه ومناصره، في يوم أشتد حنق الكفار وغيضهم عليه، فأظهر الله فيه نبيه وكبت أعداءه، كما ذكر الله في القرآن الكريم، وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة : ٤٠].

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم قالت: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، - وفي رواية - قالت:

لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ، لَمْ يَرُعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: « **أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ**» . قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « **الصُّحْبَةَ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: « قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ» .

فانظروا إلى كرم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسخائه وبذله في سبيل الله ومواساته لرسول الله، وانظروا إلى عفة رسول الله ﷺ، فنعم المعطي وأنعم بالمعطى له .

هذا هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صديق رسول الله ﷺ وصاحبه في القرآن الذي صدقه ونصره وهاجر معه، هذا الذي قال عنه رسول الله ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا** » . والحديث في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فمن أساء إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أساء إلى رسول الله ﷺ وعصاه، ومن ترضى عن أبي بكر فقد أطاع المصطفى ﷺ.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى

يَأْتِيهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خِرِّيتًا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ» .

فبينما هم كذلك إذ بعث كفار قريش في طلبهما وجدوا في الطلب وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس بل بذلوا المئات من الإبل لمن قتلهما أو ردهما.

ففي صحيح البخاري عن سراقة بن جعشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ

أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا» . فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» .

ولما رجع النبي ﷺ من الطائف أخرجت الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: «**يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ** » ، فبايع رسول الله ﷺ وأسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فهذا شيء أراده الله لسراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو له خير، إذ أراه بعض الآيات والمعجزات، فجعل ذلك سببًا لهدايته وإسلامه ثم أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامه.

وذكر بعض أصحاب السير أن النبي ﷺ وعده بتاج كسرى فأخذه في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أظهره الله على الفرس، فنادى عمر: أين سراقة بن مالك ؟ ، هذا ما وعدك به رسول الله ﷺ.

إنها الثقة بالله وبنصره، انظروا إلى رسول الله ﷺ وصاحبه وهما في هذه الحالة مطاردون في البراري خائفون، ثم يَعِدُ سراقة بتاج كسرى عظيم الفرس!.

وانظروا كيف يقلب الله القلوب ويحول الأحوال، فقد كان سُراقة يطارد النبي ﷺ وصاحبه ويريد قتلهما، فما هي إلا لحظات حتى صار مدافعًا وذائدًا

عنهما.

ففي أول النهار عدو لهما يريدهما بسوء وفي آخر النهارصديق لهما يدافع عنهما، في أول النهار وليٌ للكافرين وفي آخر النهار وليٌ لله ورسوله والمؤمنين.

فسبحان مقلب القلوب ومصرفها!فأكثر ياعبد الله من قولك: « **اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي على دِيْنِكَ، ويا مُصَرِّفَ القُلُوب صَرِّفْ قَلْبِي على طَاعَتِك**» ، فقد كان النبي ﷺ يكثر من هذا الدعاء، كما ثبت ذلك عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعند الترمذي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وجاء في الصحيحين عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَت الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالك، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: « لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا » فَدَعَا عَلَيْه النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَارْتَطَمَتْ به فَرَسُهُ إِلَى بَطْنهَا - أُرَى - في جَلَد مِنَ الأَرْض، - شَكَّ زُهَيْرٌ - فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهِ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا» .

فكان لا يرى أحدا في طريقه يبحث عن رسول الله ﷺ وصاحبه إلا رده وقال: قد كفيتكم هذا الوجه، وهذا من فضل الله عليهما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[يوسف:٢١] .

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ [البقرة : ١١٧] .

وبينما هما في الغار إذ يمر الكفار من باب الغار فأعمى الله أبصارهم فلم يروهم قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة:٤٠] .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق حدثه قال: « نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: « **يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**» .

فهذا شيء أراده الله ليظهر دينه ويعلي كلمته ولو كره الكافرون ، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة :٣٢] .

أما ما جاء أن العنكبوت غزلت خيوطًا على باب الغار، وأن الحمامة باضت على باب الغار ، فهاتان قصتان ضعيفتان يردهما الحديث المتقدم: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ...**» ، فدل على أنه لا يوجد خيوط للعنكبوت ولا بيض للحمام . وقد قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : القصة موضوعة أي مكذوبة.

فلا ينبغي الاعتماد على القصص الضعيفة والمكذوبة، ويكفينا ما ثبت منها وصح، فلا يجوز التحدث بها وعندنا غنية عنها ، والله المستعان.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد :

فإنه لما سكن الطلب عن رسول الله ﷺ وصاحبه من قِبَل المشركين بعد أن مكثوا في الغار ثلاثة أيام وقد بحثوا عنهما من جميع الجهات واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم الأمر فنجاهما الله، انطلق نبينا ﷺ وصاحبه قافلين نحو المدينة وأشرقت المدينة بقدومهما، وكان أهل المدينة ينتظرونهما بفارغ الصبر شوقا للقائهما واستضافتهما ومناصرتهما، وكلٌ يريد أن ينزلا في داره إكرامًا لهما.

ففي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالمدينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِظَهْرِ الحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ» . الحديث.

فكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ أن بنى مسجدا ثم آخا بين المهاجرين والأنصار فأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه ﷺ وركب راحلته حتى بركت عند المسجد فقال ﷺ حين بركت راحلته: « هذا المنزل إن شاء الله» . فبناه مسجدا فطفق ينقل مع أصحابه اللبن وهو يقول: « هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ » ، وَيَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ » . والحديث في صحيح البخاري.

وأما قصة أن الأنصار استقبلوا رسول الله ﷺ بأبيات: طلع البدر علينا... فهي قصة منكرة وضعيفة، وعلى تقدير صحتها فإنه لم يذكر ضرب الدف فيها لكن القصة ضعيفة من أصلها.

فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل المدينة، جعل سراقة بن مالك يقص على الناس ما رأى وشاهد من أمر رسول الله ﷺ، وما كان من قصة جواده ، فخاف رؤساء قريش معرته ،وخشوا أن يكون سببًا في إسلام كثير منهم، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل لعنه الله إلى بني مدلج: إني أخاف سفيهكم سراقة... فرد عليه سراقة بأبيات شعرية هذا نصها:

أبا الحكم والله لو كنت شاهدًا لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمدًا رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فإنني أخال لنا يومًا ستبدوا معالمه

إلى آخر ما ذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

هذه خلاصة هجرة المصطفى ﷺ لنتذكر ونعتبر ما فيها من العبر والعظات ولنعرف كيف عانى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في سبيل تبليغ دين الله وإيصاله إلينا، فما علينا إلا أن نلزم هديه ونقتفي أثره ونعمل بسُنَّته

فإنه أوصلها إلينا طرية، بيضاء نقية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

اللهم ثبتنا عليها حتى الممات، اللهم انصر السُّنَّة وأهلها واخذل البدعة وأهلها اللهم من أراد بالسُّنَّة وأهلها كيدا فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره، اللهم أحينا عليها وتوفنا عليها واحشرنا في زمرة صاحبها عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.